حسين مهنّا

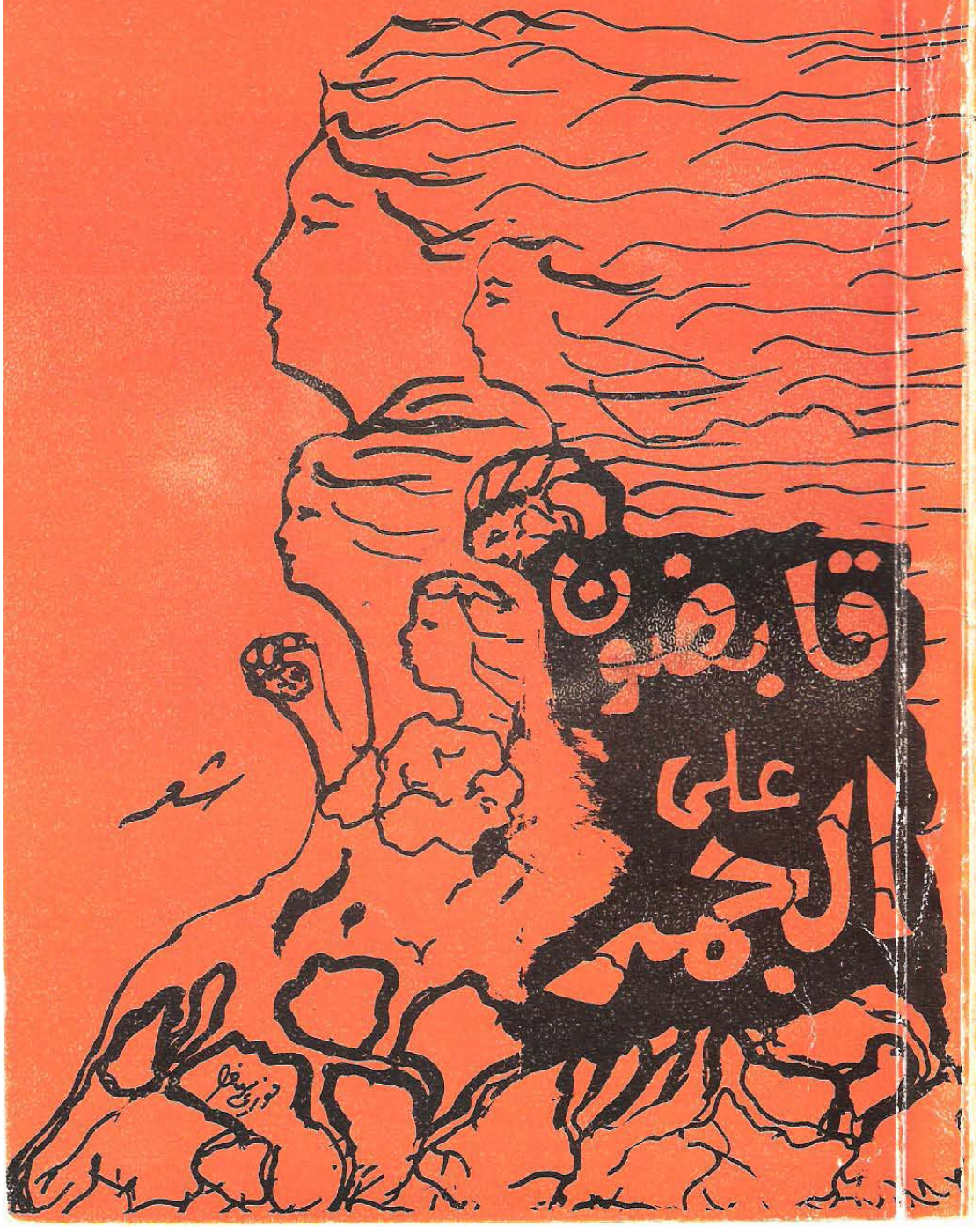

قابض على الجمر

شعر

قابضون على الجمر

قابضون على الجمر

شعر

حسين مهنا

الطبعة الأولى
آذار ١٩٩١

الغلاف: بريشة الفنان فوزي ناصر

الفاتحـــة

أسلمت أمـري طائعـاً لَشقَـائي
وركـبـتُ بحـراً عاتـي الأنـواءِ
وهـجـرتُ شطآن الـمـذلّـةِ والخَنَى
جُزُرُ الـكـرامـةِ قِبْـلَتي ورجـائي
وحـمـلتُ جُرحـي والهمـومُ تنـوشُني
والـصّبْـرُ أمـسى مَأكـلي وردائـي
ما همّـنـي أنّـي طريدُ سيوفِـهـم
صبـري الـجـمـيـلُ مُحيِّرُ الأعـداءِ

وَلَـكـمْ نجـوتُ مِن الـهـلاكِ فزادنـي
هـولُ الـسِّـفـارِ تَهـزُّؤاً بِقَـضَـائـي
الـسّـنـدبـادُ أنـا وحـظّـي عاثـرُ
أدعـو الـنّـجـاةَ ولاتَ حينَ دُعـاءِ
وَطَنَ الجـراحِ وأنتَ حُلْـمُ طُفـولتي
هَجْـرُ الـرُّبـوعِ مُفَـتِّـتُ حَوبـائـي
مهمـا ٱبتعـدْتَ تظلَّ أقـربَ من دمـي،
لِحُـشـاشـتـي وتـظـلَّ سِـرَّ بقـائـي

البقيعة ـ شباط ١٩٨٩

الشّاعرُ والرّصاصة

الحورُ والصفصافُ والقَصصُ المثيرهْ
والجدولُ الرّقراقُ،
يمتصُّ التهاباتِ الظهيرهْ.
والبلبلُ الصَّدَّاحُ يتلو
أغنياتِ الحُبِّ آياتٍ على الدُّنيا أثيرهْ..
الماءُ والخضراءُ،
والصّوتُ المُعَبَّأُ بالغلالِ وبالخمورِ -
مفتاحُ هذا الكونِ،
سِرُّ الخَلقِ منذُ البَدءِ،

دُنيا العِشقِ،
ميلادُ الشّعورِ.
الماءُ والخضراءُ والصّوتُ الحَسَنْ
وقساوةُ الجلّادِ والنّطعُ،
المُعَبَّأُ بالمآسي والمِحَنْ.
سكنَ الدّجى...
هي طلقةٌ أولى..
ويخدشُ حِسَّ هذا الكونِ قَلْبٌ مِنْ رصاصْ!!
عصفَ الشّـجا...
هي طلقةٌ أخرى،

ويبكي الحورُ والصّفصافُ،
تختبىءُ الحكايا في الزّوايا... آهِ،
يجري الجدولُ الرّقراق محروراً
ويهوي البُلبُلُ الصّدّاحُ أفئدةً،
وأوتاراً مُقطّعةً ودمْ.
الماءُ والخضراءُ والصّوتُ الحَسَنْ -
الموتُ واللّحدُ المُصَفَّحُ والكَفَنْ!!

★

وتهبُّ ريحٌ بعدها ريحٌ،
وريحٌ بعدها ريحٌ...

فتحمِلُ طلقةَ الصّيّادِ،
والصّيّادَ،
والكلبَ السّلوقيّ المُدلَّلَ،
والصّـ... ـد... ى...!!
ويظلُّ ملءَ الكون صوتُ البُلبُلِ الشادي،
أنيسَ الجدولِ الرّقراقِ..
والصّفصافِ
والحُلُمِ المُجَنَّحِ ... والمَـ... ـدَ... ى...!!

البقيعة/الجليل ١١/١٠/١٩٨٧

موسيقى

تأتيني من كهف الآبادِ البشريّةِ،
ضوءًا...
ريحاً صَرْصَرْ..
أحملُ أدواتي الحجريّةَ،
أرقصُ رقصةَ صيدٍ
أركضُ خلفَ طريدةْ!
لا أتعبُ.. لا.. لا..
إني أحيا.. أحيا.. أحيا..
يحملُني الضوءُ الفِضّيُّ،
أطيرُ.. أطيرُ

وأخلعُ جلدَ الوحشِ الأبديِّ،
وأنسجُ مِنْ أوراقِ التّينِ رداءً.
أرعى قطعانَ الماشيةِ،
أجوبُ العُمْقَ البشريَّ،
أطوفُ معَ الطّوفانِ،
أدورُ.. أدورُ
قويَّ المخلبِ والبنيانِ،
فأصنَعُ من جلدِ ضحاياي
حذاءً ملكيّاً..
يقتُلُني الزّهوُ.

يُعانِدُني الرّهوانُ،
وَيَجْمَحُ نحو الأفقِ الورديِّ..
يُعلِّمُني حُبَّ الشّمسِ،
وحُبَّ الأرضِ،
وَيُرْضِعُني حُبَّ الأسئلةِ
لماذا.. ماذا.. كيف.. وأينَ.. ومَنْ ذا..
فأنا الفكرُ المتحرّك مُنذُ البَدْءِ،
أنا الإنسانْ!!

هذا بيتي -
جنّتِيَ الصُّغرى...

وعلى رأس المائدةِ المثقلةِ،
بما لذَّ وطابَ،
أقطِّعُ بالسّكينِ،
أُقِّطُ بالشّوكةِ لَذَّتِيَ الجسميّة، آهْ!!
لذّتيَ الجسميّهْ!!

★

يا دائرةَ الضوءِ الأولى
الآنَ الآنَ عرفتُ حكايةَ حيوانٍ شَبِقٍ،
لزجِ النّشوةِ،
يتنكّرُ في صورةِ إنسانْ!!

يا دائرةَ الضّوءِ،
أريحي هذا القلبَ المُثقلَ،
بالإثمِ الموحِلِ والأدرانْ!
هُزّي أغصانَ الشّجَن المورقِ،
في جُمجُمَتي...
آهٍ.. جُمجُمَتي...
هذي الكُرةُ الحيّةُ،
تطرحُ في العام الواحدِ،
من يدري كم تَطْرَحُ
مِنْ شوكٍ همجيّ اللدّغةِ،

عصريِّ اللّمسةِ
قُزحيِّ الألوانْ!
يا دائرةَ الضّوءِ الفضيِّ
أجيبي صَمْتَ المُدمِنِ...
هُزّي أوردتي...
صدري مزروعٌ أوسمةً
لكنّي مُحتاج لنُسَيْمةِ صَيْفْ..
فالخمرةُ زَيْفْ.
والدّمعةُ زَيْفْ...
واللُّقمةُ في حَلْقِ الجائعِ زَيْفْ!!

أين الصِّدقُ... أجيبي؟!
إن كان الموتُ
فأهلاً..
وَلْيُكْتَبْ فوق القَبْر المُظلمِ،
بالخطِّ الكوفيّ..
«مات المجنونْ..
ترك متاعَ الدّنيا
ومضى يجري خَلْفَ الحُلُمِ الوهميّ».

البقيعة ١٩٨٨/٦/١٥

هكذا تموتُ النّسور

ركبَ الجوّ وَعلّى..
لا رياضيًّا يحبُّ اللّهوَ والتّرويحَ،
عن نفسٍ بليدهْ
لا صحافياً لحوحاً
يسبقُ الطّيرَ لسبقٍ صحفيٍّ في جَريدَهْ.
ركبَ الجوَّ جناحينِ،
وقلباً
وعقيدَهْ.
هَمُّهُ التّجوالُ،
والتّرحالُ،

لا مُستكشفاً يسعى لقتلِ الوقتِ،
بَحْثاً عن مدارِ الَجدْي،
أو دُنيا جديدَهْ
وأحبَّ اللّهوَ فوقَ الرَّملِ ،
يُشْكي هَمَّهُ شقراءَ،
أو سـمراءَ، لكنْ
لم تساورْهُ شقاواتُ الشّبابِ البِكْرِ،
لم تحلُبْ سُعودَهْ.
عينُهُ ترنو إلى يافا،
وذاك الشَّاطىءِ المهجورِ..،

يافا.. قابَ جيشين وأكثرْ..
وقفَ الرّوح على يافا،
فشدّت روحَهُ
وٱستأْثرتْ مِنْهُ وريدَهْ

★

قادَهُ الوجْدُ
فعادَ النّسرُ مسحوراً بعشقِ الأرضِ ،
لانَتْ صهوةُ الرّيحِ لمهمازَيْهِ،
هامتَ روحُهُ في ظُلَمَةِ اللّيل،

وَدَبَّ الرُّعبُ
ضاقتْ رقعةُ الأرضِ ،
فأينَ الملجأُ المستورُ تحتَ الأرضِ ،
أينَ اللهُ كي يحمي جنودَ اللهِ! ـ
صُدُّوا مجرماً من عالمِ الإرهابِ،
يَصلْينا بنار الحِقْدِ،
يُدمي حِسَّنَا الشِّعريَّ،
يُدمي حِسَّنَا العَصْريَّ،
أينَ اللهُ: أين الجندُ!!؟
صونُوا جَنّة الميعادْ..

★

قادَهُ الوَجْدُ،
فعادَ النّسْرُ
مَسْحوراً بِعِشْقِ الأرضِ عادْ...
ـ أمَّهُ الأرضَ لَكَمْ ناديْتِهِ؟!
فاضَ مِنْهُ القلبُ بالوَجْدِ،
فعادَ اليوم طِفلاً يَرْتَمي في حِضْنِكِ، ـ
الدِّفْءِ،
فضُمّيهِ ولكنْ
لا تضُمّيهِ طويلا..

قبّليهِ،
شَمِّميهِ،
داعبيهِ ثُمَّ ناغيهِ ولكنْ،
لا تُناغيه طويلا..
أتركيهِ يتهادى بينَ طَيّاتِ القلوبْ.

★

مَدْفَنُ الأبطالِ مزمارٌ،
وَزَمّارٌ،
وَسُمّارٌ...
... وَتاريخُ الشُّعوبْ.

البقيعة ١٩٨٧/١٢/٤

قصيدةٌ بأحرفٍ حجريّه

لمدينةٍ عزلاءَ أُهْدِي
ذوبَ أغنيتي،
وطنينَ قافيتي،
وتمازجَ الكلماتِ باللّحنِ الغضوبِ على وَتَرْ..
ولِطفلها الحجريّ أهدي
وردةً حمراءَ
قلبي اليافويَّ، وضحكتي،
وفراشتينِ،
وقُبلتينْ على حَجَرْ.
هَطَلَ الرّصاصُ مَعَ المطرْ

هربتْ عصافيرُ الشّتاءِ،
تناثرت بُقعُ الدّماءِ،
بقيتَ وَحْدكَ تحرسُ البُسَطاءَ،
والشّهداءَ
وَحْدَك، تحضنُ الدّربَ المُبَلّلَ بالحُداءِ،
وبالدماءِ،
وبالرّصاصِ ..
وبالمَطَرْ..
... وبقيتَ وَحْدَك للرّياحِ تصدّها
بالقلبِ،

والعينينِ،
والصّدرِ الطّريّ،
وقبضتين على قَمَرْ.
... وبقيتَ وَحْدَك ترتدي فَرَحَ النّهارِ،
وترتدي مَرَحَ الفراشاتِ المُلَوّنةِ،
الطّفولةَ،
والبطولةَ،
ترتدي التّاريخَ قُفّازاً،
وقُبّعةً،
وتأتينا مسيحاً مُنتَظَرْ.

هَطَلَ المَطرْ..
هَطَلَ الرّصاصُ معَ المَطَر!
رَفَعتْ مناكبها الجبالُ وعانقتْكَ،
تقمّصَتْكَ،
خلْعَتَ صَمْتَك،
وٱنتعلْتَ حذاءَك الحجريَّ
ثُمَّ مشيتَ،
خَلْفَكَ موكبُ الفقراءِ والحُكماءِ،
تتبعُكَ الحناجرُ
والبشائرُ..

والمكانُ يجزّ ناصيَة الزّمانْ.
ودخلْتَ بين أصابعِ السّلطانِ روماتزمَ،
أضغاثاً،
نزعْتَ النّوم مِنْ جَفْنيهِ،
ثارَتْ شهوةُ الحيوان في جنبيهِ،
وانعقلَ اللّسانْ.
(شـغبٌ) يقولُ مُنَسِّقُ الأنباءِ،
في التّلفازِ، يُفْرِغُ جوهرَ الكلماتِ،
والكلماتُ ينقُصُها التّأدُّبُ والبيانْ.
ـ هي ثورةٌ!!

لا تخلطوا الأوراقَ في وَضَحِ النّهارِ،
ضَعُوا النّقاط على الحروفِ
فَلَنْ تُغيّرَ شكلها الألوانْ!
- هي ثورةٌ!!
يا أيّها الخلفاءُ والوزراءُ -
يا وَجَعَ الشُّعوبْ.
لا تدفنوها بالكلام المُرِّ،
والصّمتِ المُؤَبَّدِ،
والرّهانْ!
- هي ثورةٌ...

مِنْ أينَ هذا الصّمتُ في كُلّ المدائنِ،
والدّساكِرِ..
والعواصمْ..
أواهُ يا طِفْلَ المُخيّمِ والمعَاقِلِ والملاحِمْ!
مِنْ أين هذا الصَّمْتُ،
موتٌ تافِهٌ،
جُبْنٌ وراثيٌّ؟!
معاذَ النّخلةِ العجفاءِ في شطّ العربْ.
فاحملْ صليبك،
شُدَّ هذا الشّعْبَ مِن قلب اللّهبْ!

وأتركْ مقارعة الجنونِ فقد قَضَى ـ
تَبَّتْ يدا الباغي أبي لَهَبٍ وتَبّ.
يا أيّها الطّفلُ الفلسطيني المُقاتلْ
ضُمَّ الجراحَ على الجراحِ،
فليسَ غيرُك يشتري عَلَماً بأحزانِ اليتامى،
والأرامِلِ،
والثَّواكِلْ.
هو ذا المُدلّلُ أمنُهُمْ
يُرغي ويزبِدُ،
ثُمّ يبرِقُ ثُمّ يُرعِدُ،

.. ثُمّ يمطركِمْ جحافِلْ.
الرّيحُ تُعوِلُ،
والرّصاصُ يخطّ أسماءَ الملائكةِ الصِّغارِ،
بأحرفٍ حجريّةٍ فوقَ المواثيقِ،
الدّساتير المُنمّقةِ الحشايا
والوصايا...
الرّيحُ تعوِلُ، -
ريحُ كانونِ البشائر بالولادةِ والخلاصْ!
الرّيحُ تُعوِلُ -
والرّصاصُ وصبيَةٌ يتراكضونَ،

ويُنشِدونَ وَيَهْتِفونْ:

أَفْرِغْ رصاصك يا ثقيلَ الخُفِّ

هذا الصّدرُ كالإسفنجِ يمتصّ الرّصاصْ!

وتصيحُ أُمٌّ لم تزلْ في حُزنها الثّوريِّ،

ـ يا ولدي تقدّمْ..

هذي الحياةُ بخيلةٌ والموتُ أكرمْ!

مُتْ كالرّجالِ فلستَ أفضلَ من أخيكَ،

ومن أخيكَ ومن أخيكَ،

ومِنْ أبيكْ!!

الأرضُ مادت ثُمّ نادتْ أهلَها

فاهْرَعْ إليها راضياً كي ترتضيكْ.

★

مِنْ أين يَبْدَأُ نصرُنا؟
الخطوةُ الأولى دَمٌ يتقدّمُ
ويُدمِدِمُ..
والخطوةُ الأخرى جيوشٌ تُهزمُ.
فافْتَحْ جراحَك كُلّها
يا شعبيَ المصلوبَ
ـ من طفلٍ على ثديٍ،
ـ لأمّ مُرضعٍ

ـ لمليحةٍ هيفاءَ تحلُمُ بالفِراش المُخمِليّ،
وبالحُليِّ وبالسّتائرْ.
ـ لكهولةٍ شيباءَ أثقلها التّمنّي،
وآنتظارُ العيدِ يأتي بالبشائرْ.
إفتحْ جراحَك كُلّها
وآبْسُطْ جناحَك، ما تشاءُ،
على الرّوابي،
والجبالِ الشّامخاتِ،
على السّهولِ.
وآكتُبْ على العَلَمِ المُرفرفِ

فوقَ غزّةَ والخليلِ :
حجرٌ يواجهُ قُنبُلَهْ!
عنقٌ تُقاومُ مِقْصَلَهْ،
طفلٌ يعانِقُ كلَّ صُبْحٍ جُلجُلَهْ!!
يا أيّها الطّفلُ الفلسطينيُّ،
يا داودَ هذا العَصْرِ، صَوِّبْ حَجَرَكْ!
جولياتُ آتٍ
يركبُ الظّلْمةَ مخفوراً بتنّينٍ مُؤَمْرَكْ.
فارفعْ عصاكَ إلى السّماءِ،
وَشُقّ هذا البَحْرَ،

هُمْ شَقّوهُ..

وٱخترقوهُ..

فرعونُ ٱنْتَحَرْ.

وٱفتحْ صَنابيرَ الدّماءِ،

قَرَنْفُلُ الشّرفاتِ أضجرهُ ٱنتظارُ العيدِ،

والجوريُّ يقتُلُهُ الضّجَرْ.

لَكَ ما تشاءُ..

فَشُدّ هذا الكونَ مِنْ قرنيهِ،

أطْلِعْ فجرَكَ الورديَّ
مِنْ دَمِكَ الزكيِّ...
... وبالحَجَرْ...!!

البقيعة ـ كانون أول ١٩٨٧

طفلٌ وجنودٌ وورق

قالوا لهُ:
بخيلةٌ هذي الحياهْ!
وظلَّ يبتسمْ.
ملعونةٌ هذي الحياهْ!
ولم يَثُرْ..
عيناهُ ظَلّتا تُوزّعانِ الدِّفءَ،
والبراءَةَ الرّيفيّةَ المُشَرَّدهْ
مُحمَّدٌ..
ذاك الفتى الأميرْ
ذاكَ المغامرُ الصّغيرْ

ما أسعَدَهْ!

ما أسعَدَهْ!

كالحُلْمِ ..

كالرّبيعِ ،

كالبلابلِ الصّيفيّةِ المُغرّدهْ.

لا يفهمُ الحياةَ بالرُّموزِ،

والقواعدِ المُعقّدهْ!

مُحَمَّدٌ..

يحبّ أمّهُ

يُحبّ كُتْبَهُ

ويعشقُ اسمَهُ ـ

هذي الحروفَ الأربعهْ!

مُـ... ـحَـ... ـمَّـ... ـدٌ

كالطّيفِ أو كالزوبعهْ!

قالوا لهُ:

كانت لنا حديقةٌ

وباحةٌ رحيبةٌ في حِضنْها ومنزِلُ..

الطّائراتُ هَدَّرتْ..

وَصَفَّرَتْ..

باضَتْ على رؤوسنا

قالوا: ٱرحلوا!!
هَلْ يُعْقَلُ..؟؟
والآن نحنُ في مُخيّمٍ مُعرّضٍ للقصفْ
وكوخُنا مُعرّضٌ لِلّنسْفْ
آلاتُهُمْ تدكّ ما تشاءُ من أكواخنا
من واحدٍ..... لألفْ!
قالوا لهُ
قالوا لهُ الكثيرْ
لكنّهُ مُحَمَّدٌ ـ ذاك الفتى الأميرْ
يظلّ صامتاً

يظلّ باسماً
يلوّنُ الحياةَ في خيالِهِ
كما يحبّ أن تكونْ
ويسحقُ الأحزانَ
يسحقُ الأَشْجَانَ في طاحونةِ السّكونْ.
يستقبلُ النّهارَ باسماً
وباسماً يودّعُ النّهارْ
وقد يجوعُ طول اليومِ،
رُبّما يسيلُ ريقُهُ لرؤيةِ الفَطيرْ
وتشتهي عيناهُ رؤيةَ الملابسِ

الفضّيّةِ الأزرارِ.. آهٍ..
يشتهي الحذاءَ ـ كالأطفالِ ـ
يشتهي جواربَ الحريرْ..
لكنّهُ مُحمَّدٌ..
ذاك الفتى الأميرْ...
يظلّ كالرّجالِ صابراً
مكابراً.. ولا يثورْ!
فيا لَقَلْبِهِ الصغيرِ ـ كالشّراعِ ـ
كَمْ يعانُدُ الرّياحْ!
ويا لَحُلْمِهِ الكبيرِ ـ كالضيّاءِ ـ يملأ الوجودَ

يُطلعُ الصّباحْ!
ويا لَصمْتِهِ المُثير ـ كالأثيرِ ـ
يشربُ الضّلالَ والهُدى
ويعكسُ الصّدى:
فَلْيفهمِ العِدى ـ
هذا الفضاءُ الرَّحْبُ لي
ولي النّجومُ والغيومُ والمَدَى
ونسمةُ الصّباحِ لي
والعندليبُ لي
وهذهِ الأشجارُ.. والظّلالُ لي..

والزّهرُ والنّدى
وهذِهِ الوهادُ والمروجُ،
والتّلالُ..
هذهِ الجبالُ لي
فَلْترحلي
يا موجةَ الرّدى
عن ساحلي...
لكنّهُ هَوَى
في حَمْأَةِ الرّدى
مُحَمَّدٌ ـ ذاك الفتى الأميرْ.

★

طيّارةُ الورقْ ـ،
صاحَ الجنودُ في نَزَقْ ـ
لمّا تَزَلْ في الجَوِّ ذيلَها مُشرِّعهْ
وكآسمهِ ألوانُها
يا لَلْفُصولِ الأربعهْ!
ـ هذا (الغَبيُّ) مَصّ كُلَّ ما يَرُشّهُ سلاحُنا...
فَلْتَنْظُرُوا أصابعَهْ
كَحُزمةِ الفولاذِ حولَ خيطها
لَمّا تَزَلْ مُجَمّعهْ!!

البقيعة ١٢/٥/١٩٨٨

مُخيّم الدّهيشة

إخلعْ نعلَيْكَ..
فهذي الأرضُ مقدّسةٌ..
إخلعْ نعليكْ..
وٱسجدْ فوق بقايا الكاوِتشِ المحروقِ
وفوقَ شظايا المولوتوفِ المتناثرِ،
والأسلاكْ.
ٱسجدْ تسقطْ عنك، كأوراقِ تشارينَ،
خَطاياكْ..
وٱسجدْ...

الآنَ.. الآنَ!! وما أدراكَ..
الآنَ سجودُك خيرٌ من ألفِ سجودٍ،
ثم انهضْ..
وارفع رأساً ينطحُ سقفَ الدّنيا
واملأ رئتيكَ هواءً
تتنفّضُ فيه رطوبتُهُ النّسبيّهْ...
عُبَّ هواءً ثورياً
جدّدْ دورتك الدّمويّهْ
أَخْرِجْ من صدرك كُلَّ الألمِ
المتكرّشِ،

أُبْصُقْ منْ لا وَعْيكَ أوعيَة الثّلجْ.
قَبّلْ أرصفةَ الطّرقاتِ،
هناك دماءُ شهيدٍ ما جفّتْ بعدْ..
وهنا أحلامُ عذارى
بعثرها مُحْتَلٌّ وَغْدْ.
وهنالك ضحكاتُ الصّبيَةِ،
وهنا وهناكَ زغاريدُ النّسوةِ،
وَدّعْنَ الفارسَ يسقطُ مِنْ فوقِ السّرجْ.
هذي طرقاتُ طُقُوسِ الشّرفِ اليوميّةِ،
قَبّلْها..

يسقطْ عنكَ الحَجّ.

★

علّقْتُ فؤادي بين جباهِ الأطفال السّمراءِ هناكَ،
رجعتُ بلا قلبٍ..
أودَعْتُ شراييني
بين غصونِ الشّجرِ الغاضبِ،
سرْتُ بلا أوعيتي الدّمويّةِ،
أشعرُ.. أني أقوى..
أقوى من حمزةَ في غزوةِ بَدْرْ!!

«قفْ..
وٱرفعْ رأسَكَ
وٱرسمْ شارةَ نصرْ».

ـ منْ أنتم؟

ـ «حُرّاسُ الثورةِ نحنُ وُلِدْنا،
مِنْ رَحم المأساةِ،
وجئنا ـ كي نجتثَ جيوبَ الفاشيّةِ،
من رِئةِ العَصْرْ!!».

البقيعة ـ ١٩٨٨/٧

خطابٌ لِمَنْ لا يفهمون

الصّليبيّون خلف البابِ يا بيبرسُ،
فأنهدْ من جراحِ الأمّةِ الغَضْبى صبَاحَا
وأرجعي يا عينَ جالوتَ،
فهذا زمنُ الوَصْلِ،
امتدادٌ لجُذورٍ ضارباتٍ،
تَشْهَدُ الأرضُ ـ
سهولاً وجبالاً وبطاحا.
هُوذا الشّعبُ الخُرافيّ
يرصّ الجرحَ فوقَ الجرحِ،
يمضي نحو سبْتِ النّورِ.
يمضي..

يَرْتَدي صَمْتَ البراكين وِشاحا.
أيّها الشّعبُ الخرافيُّ
وأنت الوعدُ والميعادُ
أنتَ البعثُ والميلادُ،
أنتَ اليومَ ـ لا نوحٌ ـ يقودُ الفُلْكَ،
يبني جنّةَ الإنسانِ فوق الأرضِ،
فاهدمْ...
مجدُهُم كانَ سِفاحا.
أيّها الشّعبُ الخُرافيُّ تقدّمْ
أنت أدرى..

أنتَ منْ غيرُك يَعْلَمْ؟!
قريةٌ لَمّا تُغِّمْسْ خبزَها بالدَّمِّ،
ليستْ قريةً.
فاْقذفِ الحُكّامَ بالصّبْرِ،
وبالطّيرِ الأبابيلِ،
وحَوّلْ مُرَّهُمْ ماءً قَراحا.
واْسحبِ الأمنَ
ودفءَ النّومِ مِنْ أجفانِ أهليهم..
فماذا يحصُدُ الباغي وقَدْ،
أثخَنَ القلبَ اليسوعيّ جراحا.

ظالِمٌ لا يبتغي مِنْ هذه الدّنيا،
سوى روحي نبيذاً!!
وجيوشٌ تحرسُ الأمنَ على صدري،
وصدري ساحةٌ لِلْحُبّ، لا لِلْحَربِ!
فأنْزَعْ غدرَكَ الفِطْرِيَّ يا قابيلُ مِنْ قلبي،
ومن شريانيَ المُحتلِّ،
مِنْ أغنيتي..
حَطّمِ الغيتو وصوّبْ فُوهةَ الرّشاشِ،
أطلقْ نحو (مسّادا)
وخَلّصْ شعبَك المصنوعَ من نارٍ وبارودٍ،

لحربٍ خاطفَهْ!!
أُمَّةٌ تغفو على آلامها
يا إلهي.. كيف تغفو؟!
والوصايا العَشْرُ تندى خَجَلاً
ـ أنقذوها أنقذوها..
صاحَ موسى يرتجي الرَّحمٰنَ عَطْفا.
وبكى مَنّاً وسلوى
ثُمّ أغفى.. آهِ أغفي
واكليمَ اللهِ.. إنْهَضْ!
شعبُك المقهورُ يمضي في طريقِ التيِّهِ،

أينَ العاصفَهْ!؟
يَدُنا مَمْدُودَةٌ للسِّلمِ يوميّاً
وما لي لا أرى
غيرَ أيدٍ راعشاتٍ راجِفهْ!!
تعبَ القلبُ فيا أيّامُ دوري
وآملأي الأقداحَ بالرّاحِ ،
فروحي مِنْ قرونٍ صاديَهْ!
وآخفُقي يا أيّها الأعلامُ.
رِفّي أيّها الأحلامُ
ـ شالومٌ.. سَلامُ

وٱهجعي يا نفسُ
يا كُلَّ الجروحِ الجاريَهْ
سَئمتْ نفسي نعيبَ البومِ .. ليليّاً،
وصُبْحاً.. زقزقاتِ العندليبِ الباكيَهْ.
يا جموعَ الكادحينَ ٱنتفضي...
وٱنزلي يا فرحةَ الشّعبيْنِ فُرقاناً...
وَجُبّي..
كُلَّ آثامِ السّنينَ المعجفاتِ...
العاديَهْ.

البقيعة ـ ١٩٨٨/٥

ليلى السّاحورية

مِنْ دمعِ حزيران المرِّ،
تنامتْ ليلى..
وُلِدَتْ ليلى كالبدرِ مُنيرهْ
كبرتْ ليلى
حملتْ معها طَعْمَ النَّارَنْجِ،
ورائحةَ الدِّفلى.
من دمعِ حزيران المرِّ
تسامَتْ ليلى..
زفرةَ راهبةٍ قُدّامَ صليبٍ،
نَفْحَةَ عِطْرٍ،

وحلاوةَ شهدٍ.. قُلْ أحلى.
وُلِدَتْ ليلى
مِنْ دَمْعِ يسوعٍ شَعَّتْ فِكرا..
دخلت رَحِماً بِكْرا
لَقَحتْ ثورهْ!!
وُلِدَتْ ليلى
وجدتْ حَشْداً من مَرْضى
مِنْ عُمْيٍ،
مِنْ عُرجٍ،
مِنْ عُسْمٍ...

صاحت:
يا هذا الحشدُ ويا كُلَّ الخلقْ
جسدي مأكلُ حقٍّ
ودمي مَشْربُ حَقْ.
هيّا.. هيّا
هاكُمْ جسدي.. هيّا.

★

وَمَضَتْ ليلى
في رِقَّةِ نسمةِ صيفٍ،
في خِفّةِ طَيْفْ.

دقّتْ كُلَّ الأبوابِ الموصَدَةِ،
بأقفالِ الخوفْ.
عجباً..!!
أين الضّحكةُ
أين الفرحةُ..
الجندُ قيامٌ
والنّاسُ نيامٌ
والزّفَةُ زَيْفْ.
هذي الشّرفاتُ الموحشةُ
وهذي الأرصفةُ الباكيةُ

تنوحُ، تصيحُ تَبوحْ
رَحَلَ المحبوبُ وَلَمْ يرحلْ
رَحَلَ المحبوبُ ولم يرحلْ.
حزنتْ ليلى..
نادت والبسمةُ ضوءٌ أَخْضَرُ،
في عينيها النّرجستينْ.
ـ مَنْ يُبْصِرْ وجهي
يَبْرَأْ من داءِ النّقرسِ
والسّفلسِ،
والعُهْنَةِ

والزّهريِّ..
وعيٍّ في النُّطْقِ
وفأفأةٍ أو تأتأةٍ في الشّفتينْ.
الحقَّ الحقَّ أقولُ بأَنَّ البُلبُلَ
لا يتلعثمُ حين يغرِّدُ
كي يُطربَ سُنبُلَةً في حَقلْ
وكذا المؤمُن لا يتلعثَمُ
حين يُصوّبُ فُوهَةَ جملتهِ الحاملِ،
بالصّدقِ وجيناتِ العَقلْ.
آهٍ لو تدرونَ بما أحمِلُ

ما أعرفُ آه!!
أعرفُ من أينَ أتيتُ
وأعرفُ أين سأذهبُ
هذي الدّنيا مسرحُ أطفالٍ
أو قُلْ جوهرةٌ ينقُصها الصّقلْ.
أمسِ مررتُ على سجنٍ
ليس بعيداً
لا.. ليس بعيداً
قابلْتُ وجوهاً تبسمُ
وعيوناً تنظرُ نحو الأُفُقِ الوَرْدِيِّ،

تراقبُ نجماً..
أملاً..
والسِّرُّ الأكبرُ
تلك البهجةُ تطرقُ
أبوابَ الزنزاناتِ..
تدقّ.. تدقّ ولا تتعَبْ.
وهنالك قابلتُ حبيبي
فأنا وحبيبي
عينانِ
وقلبانِ

وثغرانِ
وروحانْ.
بينهما قضبانُ السّجنِ الباردةُ كَمَوْتِ الأَحْلامِ وسجّانْ.
لكنّ أناملي الولهى
لثمتْ أطرافَ أنامِلِهِ.. آهْ!
يا عصْرَ التقبيلِ بأسلوبِ الاصْبَعِ،
فوقَ الاصبَعِ ما بينَ القُضبانْ!!
أو (تلبيسُ) المحبسِ
للمحكوم أو المحكومةِ بالإبْعَادِ،
أباقٍ أَنْتَ؟

أباقٍ أَنْتَ؟
وهذا السّجنُ
وهذا الحُزْنُ
وهذي القُضْبانْ؟!

★

صَاحَ الفرّيسيّون بليلى..
صوتُكِ أعلى ممّا تقبلُهُ الأحكامُ العُرفيّهْ
مَنْ أنتِ ومِنْ أينَ أتيتِ؟
أجيبي؟!
فيكِ خفايا

وبعينيكِ حكايا وحبائلُ شيطانْ!
ضحكتْ ليلى.. قالتْ:
سَلْ هذي الأرضَ
تُجبْكَ بأنّي سيّدةُ الموقفِ
جئْتُ لأعدلَ كفيِّ الميزانْ.
صاحَ الكهنْ:
هذي المرأةُ دَنّستِ السّبتَ
فدقّوا الأخشابَ
أعِدّوا المارقةَ لِتُصلَبَ.. هيّا
وأقيموا كُلَّ مراسيمِ الصلّبْ.

ضحكتْ ليلى.. قالتْ:
الجسمُ ضعيف لكنَّ الرُّوحَ قويّ
دُقَّ المسمارُ الأوّلْ..
ـ ربّاهُ أعِنّي..
أعلمُ أنّ وجودي في هذي الدّنيا
لِخلاصِ النّاسِ،
لهذا الموقفِ أو أكبرْ.
الصّلْبُ أَليمٌ:
لكِنّ الحشدَ الصّامتَ من حولي
يؤلِمُني أكثر!! ـ

دُقَّ المسمارُ الثاني
والثّالثُ والرّابعُ.. آ.. آ.. آه!
سقطتْ قطرةُ دَمّ رشفتها الأرضُ،
آحتجّ الحجرُ المتربّصُ،
ثارَ.. ومارَ.. آنتفضَ الحَشْدُ،
وهاجَ.. وماجَ..
وماجَ وَهَاجْ.
وُلِدتْ ثَـوْرَهْ!!

البقيعة ـ ١٩٨٨/٧

متى يخجلُ الموتُ

متى يخجلُ الموتُ من وارديهِ،
تُسائلُ في نكهةٍ جُثّةٌ هامدهْ!
سألتُ الطيورَ فهبّتْ تغرِّدُ لحنَ الرُّجوعِ،
وكانت على بيضها راقدهْ.
سألتُ الورودَ فزادَ ٱحمرارُ الخدودِ،
وسَنّتْ مناقيرَ أَشواكِها الحاقدَهْ.
سألتُ الشّجيراتِ قبلَ ٱنتشارِ جيوشِ الخريفِ،
فقامتْ تداعبُ صمتَ الصّباحِ،
تودّعُ أوراقَها الشّاردهْ.
سألتُ الفراشاتِ عِندَ الغديرِ،

فهامت تُراوِدُ بُعْدَ المسافاتِ،
عن رقصَةٍ...
رقصَةٍ واحدهْ!!
وحينَ سألتُ الرّياحَ أستكانَتْ قليلاً،
وهاجتْ كثيراً.. وراحت تُثيرُ ركودَ الحياةِ،
تفرّقُ آناً...
وآناً تُجمِّعُ زَيْفَ المُنى غيمةً واعدهْ.
تقولُ: متى يخجلُ الموتُ...
يخجلُ حينَ ينوِّصُ فيَّ سراجُ الحياةِ
وما من مكانٍ ضئيلٍ ضئيلٍ بِقَفْرٍ،
يكونُ رداءً أخيراً
لجسمي المُمَدَّدِ والشّاهدهْ.

البقيعة ١٩٨٩/١/٣

قابضون على الجمر

[سنة على الانتفاضة]

الموتُ يأتي مثلما تأتي الحياهْ.
ضدّانِ منذُ البَدْءِ،
مُتّحدانِ،
ساقيةٌ تَئِنُّ،
تدورُ في صمتٍ،

يخالطُ حزنَها الأَبديَّ أغنيةُ الحياهْ.
والموتُ عند البعضِ فلسفةٌ،
تطولُ فصولها شرحاً وتفصيلاً.. وتذبيلاً ـ
مُلخصهُ ٱنحلالٌ وٱندثارٌ للخلايا ـ
هو لعبةٌ روحيّةٌ/ جسديّةٌ.. لا غيرَ،
باطنُها ٱنتصارُ الرّوحِ،
ظاهِرُها الفناءْ.
هو رقصةٌ عبثيّةُ الإيقاعِ،
والحركاتِ،
أوّلها ٱنتشاءُ الرّوحِ،

آخرُها بُكَاءْ.
متعدّدَ الأسبابِ والأشكالِ يأتي،
ناثِراً عِقدَ الحياةِ،
وكاشفاً سِرَّ البقاءْ..
ويكونُ عَدْلاً حين لا تدري بأيّةِ بُقْعَةٍ،
في الأرضِ تُنهي النّفسُ رحلتَها القصيرهْ.
لكنّما ماذا يكونُ متى يصيرُ من الحلول المُسْتَقاةِ،
من النّفوسِ الكاظماتِ الغيظَ جيلاً بعدَ جيلِ.
أو حين يمسي مُتعةَ الضِّعفاءِ،
وقت اللّهوِ ـ ادماناً كَشُرْبِ الرّاحِ،

كالتّدخينِ،
كالعاداتِ يأتيها الطغاةُ بشكلها الآليّ يوميّاً...
ببرودِ أعصابٍ،
بأهدإِ ما يكونْ..
والموتُ أمسى الحلَّ للعصانِ ـ
هذا الدّاءِ ـ
أمسى صرخةَ القرنِ العليلِ !!
والقتْلُ أمسى الشّرعَ،!!
هذي سطوةُ القانونِ تحميهِ،
وويلُ القاتلِ المسكينِ من ظُلْمِ القتيلِ !!

والموتُ أمسى بالرّصاصِ الحيّ
والمطّاطِ،
مصحوباً بلائحةِ اتّهاماتٍ خطيرة.
ـ ألْقَوْا حجارتهم على فرقِ الجنودِ،
وهم يُعيدونَ الهدوءَ لقريةٍ معزولةٍ،
منعاً لأعمالِ الشّغبْ..
والموتُ أمسى عندهم طوعاً،
وتسليةً،
وتنفيسَ غضبْ.
ويجيءُ باسم القائدِ الجبّارِ،

يبغي النّصْرَ مِنْ شعبٍ مُسالمْ.
ـ لا تتركوا زرعاً
ولا ضرعاً،
ولا بشراً،
ولا حجراً يقاومْ.
ووصيّةُ (الجلّادِ) بالتّلميحِ لا التّصريحِ،
عِبرَ لاسلكي تقولْ:
سُدّوا المداخلَ والمخارجَ،
قبلَ أن يأتي جواسيسُ البلادِ ـ
إذاعةً..

قمراً صِناعيَّاً
وأخباراً متلفزةً
وعاصفةً تحرّكُها جريدهْ.
أدّوا المهمّة قبلَ أن تستيقظَ،
الدُّوَلُ العدوّةُ والصّديقةُ،
والقريبةُ والبعيدهْ.

★

ويجيءُ أشباحاً مُدَجَّجَةً،
تلاحقُ كركراتِ طفولةٍ جذلى..
هُمْ زينةُ الدُّنيا...

أكبادُنا تمشي...
وكراهةٌ حمقاءُ تتبعُ خطوهم..
ما هَمَّهم..
حملوا الحياةَ حقيبةً ملأى بأحلامِ الطّفولهْ!
ـ أحللْتَ مسألةَ الحسابْ؟
ـ حاولتُ لَمْ أفلحْ.. وأنتَ؟ حَلَلْتها!!؟
ـ طبعاً معلّمةُ الحسابِ ذكيّةٌ
وتُطيلُ في شرحِ المسائلْ.
ـ كَمْ ساعةً في اليومِ تدرسُ؟
ـ ليس أكثر منك.. لكنّي كثيرُ الانتباهِ،

وأنت تُكثرُ شيطناتِكَ دونَ طائلْ.

ـ أرأيتَ؟

ـ ماذا..؟

ـ الجندُ قد سَدُّوا المداخلْ.

ـ لا خوفَ هيّا قد تأخرنا كثيراً..

ما هذه الطّلقاتُ.. أسرعْ يا صديقي..

ثمّ حاسبْ..

ـ آهٍ أخي حَسّانَ ما هذا الدّوارُ،

وغُصّةٌ ومرارةٌ في الحلقِ،

أينَ حقيبتي.. عطشانُ يا حسّانُ أين الماءُ

... ما هذي الدّماءْ!!
حسّانُ إنّي لا أراكَ.. أظلمتِ السّماءْ...!
ويجيءُ جُنْدِيٌّ على أذنيهِ (ووكمانْ)،
ثُمَّ يلقي نظرةً بلهاءَ..
يأمرُ.. ثم يزجرُ: نَحْنُ لم نقتلْهُ..
هم يجرونَ في غيرِ ٱنتباهْ!!
أواهُ يا زَمنَ الرّصاصِ يطيشُ،
في كُلِّ ٱتجاهْ!
كَمْ طفلةٍ رَسَمَتْ على صَخَبِ الحياةِ
نشيدَها الوطنيَّ،

علّقتِ ٱبتسامتَها على أنفِ الخلودِ تقولُ:
ليتَ العندليبَ يجيءُ كي يلقي على صدري الممزّقِ
لحنَهُ الباكي ومنديلَ حريرْ..
ورفيقيَ الدّوريّ يأتي عندَ شُبّاكي،
ينقّرُ ثم يلقي لي مُوَشَّحَهُ الأخيرْ..

-

ويجيءُ في شكلِ شتيمهْ..
يتقمَّصُ القولَ البذيءَ..،
يغورُ في القلبِ الطَّهورِ،
ويختفي جُرحاً وكبريتاً وصبرا ـ

مَنْ يشتري صبري فأقنَعُ بالهزيمهْ!!
لدْغُ السِّياطِ أخفّ من لَدْغِ الكلامِ المُرِّ،
في النّفسِ الكريمهْ..
وشتيمتي كالبسكويتِ الحُلوِ،
أو كالعِلْكِ،
في أفواهِ من صاموا قروناً
ثُمَّ قاموا للفطورِ، ـ
فطورهُم لحمي وتاريخي ورائحةُ الجريمهْ..
ـ العُرْبُ مُشْكِلَةٌ لَئيمهْ..
ديمغرَفي..

ونُريدُها صِرفاً مقطّرةً كماءِ الوردِ،
هذا ما قضاهُ اللهُ والتّوراةُ،
والكتْبُ الحكيمهْ...!!
هم في ٱزدیادٍ عاليَ النّبراتِ،
مُطّردِ الوتيرهْ.
ـ ما الحلُّ..
ـ عندي الحلُّ...
ألقوهم وراءَ النّهرِ أكواماً
ولا تَنْسَوا بأنَّ الأمنَ فاكهةٌ مُحرَّمةٌ
وقاها اللهُ من طمعِ اللّصوصِ ومُشتهيها..

القوا بهم وتذكّروا -
ترانسفيرُ يحميها ويرعبُ مُبغضيها..!

★

ويجيءُ في وَضَحِ النّهارْ...
سَنَةٌ على سَنَةٍ،
وتثقُلُ خلفَ أحلامي الصّغيرةِ خطوتي.
أتناولُ الأملَ الجميلَ معَ الصّباحِ،
كمُنعِشٍ للقلبِ،
والرّئتين،
أسندُ قامتي..

حجرٌ على حجرٍ ويرتفعُ البناءُ.
حجرٌ على حجرٍ ويورقُ في يُبوسَتِيَ الرَّجاءُ.
حجرٌ على حجرٍ ويخدعُني السّرابُ
أدورُ كالمذبوحِ مِنْ ركنٍ الى رُكنٍ،
ويصفَعُني القرارْ..
صدرَ القرارْ...
وبلحظةٍ بيتي يصيرُ سحابةً عطشى..
دُخاناً..
كذبةً حمقاءَ يَخْنُقُها الغُبارْ..
صنمٌ بكى.. أتُصدّقونْ!؟

صنمٌ بكى من هَوْلِ (تي.إن.تي)،
سريعِ الانفجارْ..
ما هَمَّهمْ أنّي بلا مأوىً..
ومصلوبٌ على حدِّ القرارْ!
بيتي على ظهري..
فَفَجِّرْ ما تشاءُ مِنَ البيوتِ،
مِنَ الحواري..
إنّي هنا.
الأَرْضُ أرضي..
والرّبوعُ جميعُها أهلي وداري..

ويكونُ ليلٌ ثُمَّ يتبعُهُ نهارُ
ويكونُ لي مَدّ
ولِلظّلْمِ ٱندحارُ
ويكونُ لي شمسٌ
وللشّمسِ ٱتّقادُ
ويكونُ لي قمرٌ
وللقمرِ ٱفتقادُ
ويكونُ لي وطنٌ
وللوطنِ ٱمتدادُ.

★

ويجيءُ ما قبلَ الولادَهْ..
وَمَن الشهيدُ...؟
مَن الشَهيدُ اليومَ سَجِّلْ:
رَحِمٌ لهُ وطنُ
رَحِمٌ لهُ كَفَنُ.
شهرٌ يطلُ مَعَ الهلالِ ويختفي.
ويجيءُ شَهْرٌ ثم يرحلُ كالغريبِ مع القمرْ.
تتثاقَلُ الأرحامُ كالغيم المُحمّلِ بالوعودِ،
وبالرّعودِ،
وبالمطرْ.

ـ أهلاً وسهلاً

حملُكِ العامَ خفيفٌ ومريحٌ،

يا لَحظّكِ! إنّ حَمْلي متعبٌ جدّاً،

وتقتلُني الحموضهْ.

ـ لا تحسديني يا أخيَّةُ فالدّوارُ يطولُ عندي

والوحامْ!

ـ ما ترغبينْ؟!

ـ أقصى مُنايَ ولادةٌ ميمونَةٌ.

ـ وأنا كذلك أشتهي حُسْنَ الختامْ.

ـ قلبي يُحدّثني بأنّكِ تحملين لنا وليدا

ـ اللهُ أكرمُ فليكنْ طفلاً..

وفي الآتي شهيدا.

تتحادثان.. وتلهوانِ.. وتضحكانْ..

ـ مَنْ أنتُما.. ماذا وقوفُكُما هناكَ..

تقدّما.. مَنْعُ التجوّلِ سَارِيَ المفعولِ،

منذُ الفَجْرِ.. هيّا أبْرِزا إذْنَ الخروجْ...

ما كنتُ أدري يا خواجا

أنّني أحتاجُ تصريحاً لأمشي،

في دروبِ مدينتي.. أو ليتَ تَفْهَمُ،

ما تكونُ مدينتني؟!.. هي جنّتي..

فٱرحلْ مع الرّيحِ الهجينةِ والغُبارْ!
وٱرحلْ معَ السّفنِ الطرّيدةِ،
والشّراعِ المُستعارْ.
وٱرحلْ معَ الجَزْرِ المُحمَّلِ بالهمومِ،
وكُلِّ أوساخِ الشّطوطِ،
وكلِّ أوبئةِ البحارْ.
فلقدْ سئمنْا رؤيةَ المحتلِّ يدخلُ خُبزَنَا..
وشرابنا.. وحديثنا اليوميَّ،
يدخلُ جلدَنا..
وينامُ تحتَ مسامِنا ـ بَرَصاً

وروماتزمَ ـ يقتلُ صبرنَا!!
يسري مَعَ الشّريانِ فيروسَ جنونْ..
ـ تتواقحينْ؟!
سبقت عصاهُ لسانَهُ..
وتكوّرتْ..
خوفٌ أقلّ وجرأةٌ أعلى
وعزمُ الحُرّةِ الحسناءِ عزمٌ لا يلينْ..
أقصرْ يداً..
وتكوّرت خوفاً على ذاك الجَنينْ.
ومَنِ الشهيدُ اليومَ غيرُك ـ

أيّها المحكومُ بالإعدامِ ..
يا هذا الجنينْ..؟!!

★

ويجيءُ درساً في اجتراحاتِ البطولهْ!
سلمتْ خُطاكَ..
يقولُ شارعُنا الطويلُ
وينحني مُتمَايلَ الأعطافِ
يُبدي للرّصيفِ الحُرِّ نشوتَهُ الكبيرهْ.
لا شيءَ يحمي مُقلتيكْ.
لا شيءَ يحمي ساعدْيكْ.

لا شيءَ يحمي رَفْضَكَ السِّلميَّ،
غيرُ رصاصِك الحجريِّ،
واللّحميِّ..
رُصَّ القلب فَوقَ القلبِ فوق القلبِ،
حَشّدْ حَولك البسطاءَ والفقراءَ -
.. مِلْحَ الأرضِ -
سيروا موكباً للرَّفضْ.
وسلاحُنا..
قدمٌ على قدمٍ على قدمٍ -
مظاهرةٌ تهزُّ الأرضْ.

لا صَمْتَ بعدَ اليومِ،
لا خُطباءَ،
لا أسواقَ نخّاسينَ..
هذي حفلتي ٱبتدأتْ..
وخزائني ٱمتلأتْ بعشقِ الأرضْ.
حطّمْتُ باطيتي..
وهجوتُ ساقيتي.
أطلقتُ أشرعتي
وخيولَ عاصفتي..
لا رجعةً للخلفْ..

هي فرصةٌ أمتصُّ أحلامي،
وأرسُمها على الجدرانِ خارطةً
وأسيرُ فوقَ الماءِ من فرحي..
لا رجعةً للخلفْ..
هي فرصةٌ فتدرّبوا..
صدري لكم هدفٌ.
أجيدوا كُلَّ أنواعِ الرّمايهْ.
وتفاخروا كيف أنتصرتم بالسِّلاحِ الحيِّ،
وأندحرَ العدوّ إلى جحورِ الإنتفاضهْ..
وتناظروا ما بينكم..

مَنْ مِنْكُمُ ألقى قنابلَهُ المُسيلَةَ للدّمُوعِ ،
وللضّلوعِ ،
وأطعَمَ الرّشاشَ لَحْمَ أولئك (الأوغادِ)،
أطفالِ الحجارهْ!!!
لا رجعةً لِلْخَلفْ ـ
هذي خيوط الشّمسِ شدّتْ مُهجتي وتراً
على قيثارِ صبري وٱنتظاري
علّمْتُ أحفادي ركوبَ الصّعْبِ،
لا زادٌ ولا ماءٌ.. يُعينُ رَحيلَهُمْ..
وتركتُهمْ..

وجلسْتُ أرتقبُ النجومَ،
وعودةَ الغُيّابِ،
والخَبَرَ الجميلَ
قُبيلَ نَزْعي.. وٱحتضاري..
يا طولَ ما ٱنتظرتْ قوافلُنا،
ظلالَ الواحةِ الخضراءِ،
لم تَضْعُفْ مفاصلُها،
ولَمْ يغتالُها وهمٌ ويخدعُها سرابُ.
الطّفلُ شبَّ على الطّفولةِ،
فارساً أمسى،

وأمسى حارسَ الجُرحِ الدّفينْ.
خَلَعَ الوِصايةَ كالحذاءِ،
وراحَ يعدو.. ثم يعدو في السّهولِ،
على التّلالِ مُحلِّقاً فوقَ الجبالْ..
أتُرى كثيرٌ أن تكونَ ليَ السّماءُ،
وأن يكونَ ليَ الهواءُ،
وأن يكونَ ليَ العُبابُ..؟؟!
أتُرى كثيرٌ أن يكونَ ليَ السّحابُ؟؟!
وليَ الوهادُ وَلِي النّجادُ،
وَلِي الضّبابُ وَلِي الأريجُ وَلِي التّرابُ؟؟!

ويكونُ لي...
ما للشّعوبِ وللطّيورِ وللشّجرْ!!
ويكونُ لِي علمٌ يُرفرِفُ في الفضاءِ الرّحبِ.
يحرسُ موكبَ الشّمسِ البهيِّ
مِن الشّروقِ إلى الغروبْ.
ومِنَ الغروبِ إلى السّحَرْ!
سيكونُ لي..
سيكونُ..
قال الطّفلُ..
والمقلاعُ..

والشّيخُ الجليلُ..
ونِسْوَةٌ في غرفةِ التّوقيفِ،
والجوعي..
.. طوابيرُ الشّقاءِ،
وثورةُ الإنسانِ أضنَتْهُ المسافاتُ،
الرّتيبةُ...
والمواويلُ الكئيبةُ.. قال: أحيا..
.. آهِ أحيا..
... وأستماتَ على قمرْ.

البقيعة ١٩٨٩/١/٦

لماذا أخافُ المنايا

لماذا أخافُ المنايا..
وأعلمُ أنَّ المنايا قضاءٌ صَراحٌ ووعْدُ
وأنَّ الحياةَ صِراعٌ،
وبحرُ الأمانيِّ جَزْرٌ ومَدُّ.
سئِمْتُ عذابَ السّنينَ،
وشوكَ اغترابي...
وزادَ اغترابيَ هذا الغِذاءُ / الرِّداءُ المُعَدُّ
لقد باعدَ اللّيلُ ما بين قلبي،
وقلبي هناك ضبابٌ وجنْدٌ وبرْدُ..
لكم تشتهي النّفسُ لَحْنَ الرّجوعِ،
يرفرفُ حولَ شراعِ الرّجوعِ،

وليلَ ٱصطباري بساطاً لحُبٍّ دفين،
لتلكَ الرّبوعِ يُمَدّ..
سألتُ ٱنتظاريَ: كم يبعدُ القلبُ
عن شاطىءِ القلبِ؟ قالَ:
ليالٍ طوالٌ طوالٌ طوالٌ.. ولكنْ تُعَدُّ..
تمهَّلْ.. فيومُ الرُّجوعِ بعيدٌ / قريبُ
وهذا العذابُ بسيفِ ٱنتصاري يُقَدُّ.
لماذا أخافُ المنايا..
..... أخافُ لأنّ شراعَ الفؤادِ ضعيفُ،
وموجَ المَنايا قويٌّ.
وبيني وبينَ الموانِىءِ زَيْفُ السّرابِ،
وبعدُ المسافاتِ.. لَحْدُ.

البقيعة ١٩٨٩/١/١١

الخاتمة

مَضى يستفزُّ الموتَ والموتُ غافِلُ
ويعلَمُ علمَ اللهِ ما هُو آمِلُ
فَبئسَ حياةً رغدُها في خمولِها
ونِعْمَ حياةً كرَّمتْها الغوائلُ
يُسائلُ مأفونٌ: أتبغي دُوَيْلَةً
أجَلْ! قلتُ، حَقّي والدّيارُ مَواثِلُ
لَئنْ أضْحَكَ المُحتَلّ ما أنا قائلٌ
سَيبكيهِ يومَ الفَصْلِ ما أنا فاعلُ!

البقيعة ١٩٨٩/٣/٢

الـفـهـرس

	صفحة
الفاتحة	٧
الشّاعرُ والرّصاصة	٩
موسـيقى	١٣
هكذا تموتُ النّسور	٢٠
قصيدة بأحرفٍ حجريّة	٢٦
طفلٌ وجنودٌ وورق	٤١
مُخيّم الدّهيشة	٥٠
خطابٌ لِمَنْ لا يفهمون	٥٥
ليلى السّاحوريّة	٦٢
متى يخجلُ الموتُ	٧٥
قابضون على الجمر	٧٧
لماذا أخافُ المنايا	١٠٨
الخاتمـــة	١١٠

● صـدر للشاعر:

١ ـ وطني ينزف حباً ـ شعر ١٩٧٨ ـ الأسوار

٢ ـ وطني ردني الى رباك شهيداً ـ قصص ـ ١٩٨١ ـ الأسوار

٣ ـ أموت قابضاً حجراً ـ شعر ١٩٨٦ ـ الأسوار

٤ ـ تمتمات آخر الليل ـ شعر ١٩٨٨ ـ الأسوار

مَضَى يستفزُّ الموتَ والموتُ غافِلُ
ويعلمُ علمَ اللهِ ما هُو آمِلُ
فَبِئسَ حياةً رغدُها في خمولِها
ونِعْمَ حياةً كرَّمتْها الغوائلُ
يُسائلُ مأفونٌ: أتبغي دُوَيْلَةً
أجَلْ! قلتُ، حَقّي والدّيارُ مَواثِلُ
لَئنْ أضْحَكَ المُحتَلّ ما أنا قائلٌ
سَيبكيهِ يومَ الفَصْلِ ما أنا فاعلُ!